محمد بن علي بن طولون الصالحي الدمشقي
المتوفى سنة ٩٥٣ هـ
عصره ، حياته ، سيرته العلمية
منهجه في شرحه لألفية ابن مالك الأندلسي

☜ إعـــداد

د. عبد الحميد جاسم الكبيسي
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية
كلية التربية والعلوم الأساسية
جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا

الحمد لله ربّ العالمين ، وليّ عباده المتقين ، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين ، أفصح من نطق بالحق بلسان عربي مبين ، وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين ، ومن تبعهم بإحسان وفضل إلى يوم الدين ، أمّا بعد :

فممّا لاشك فيه أن ابن طولون الدمشقي يُعد واحدا من أهم العلماء البارزين في القرن العاشر الهجري ، الذي صال وجال في علوم العربية والإسلامية فأسس مكتبة ضخمة شهد برفعتها القاصي والداني من العلماء والدارسين ، فذاع صيته وعلا شأنه وبلغ مكانة مرموقة بين أقرانه وشيوخه وتلامذته ، وهذا ممّا شجعني ودفعني للبحث في حياته وسيرته العلمية لنتعرف على هذه الشخصية المتوقدة بطو الهمة ، المتعددة الجوانب والأنحاء، وقد بلغ ما حصرته من مؤلفاته العلمية ما يقرب من سبعمائة وخمسين مؤلفاً في شتى العلوم العربية والإسلامية ، وهي مبثوثة في المكتبات العربية والعالمية ، منها ما هو مطبوع ، ومنها لا يزال مخطوطا، ومنها ما هو مفقود ، وأرى أن لا مجال لسردها في هذا البحث ، حيث المقام لا يتسع لذلك ، وقد قسمت البحث إلى عشرة مباحث وخاتمة ، هي على النحو الآتي :

المبحث الأول : عصر ابن طولون الدمشقي .

المبحث الثاني :اسمه ونسبه ، كنيته ، لقبه ، شهرته ، مذهبه الفقهي .

المبحث الثالث : مولده ووفاته .

المبحث الرابع : شيوخه وتلامذته .

المبحث الخامس : نشأته وطلبه للعلم .

المبحث السادس : الوظائف التي شغلها .

المبحث السابع : شعره .

المبحث الثامن : مكانته وآراء العلماء فيه .

المبحث التاسع : مؤلفاته العلمية .

المبحث العاشر : منهجه وأسلوبه في كتابه شرح ألفية ابن مالك الأندلسي

الخاتمة : وتتضمن أهم نتائج البحث .

هذا وبالله التوفيق وعليه التُكلان .

المبحث الأول

عصر ابن طولون الدمشقي

أولاً : الحالة السياسية :

في الفترة التي عاش فيها ابن طولون (٨٨٠هـ - ٩٥٣هـ) كان المماليك الجراكسة يسيطرون على بلاد الشام ومصر ، وقد تعاقب على الحكم عدد من ملوكهم ، وكانت الحياة مشحونة بالفتن والاضطرابات والثورات وكان الأمراء يتنازعون ويقتتلون فيما بينهم حتى سيطرت الدولة العثمانية على مقاليد الحكم في هذين القطرين ، وانتزعتهما من أيديهم .

وقبل مولد ابن طولون في سنة ٨٧٢هـ تولى السلطة الملك الأشرف قايتباي المملوكي ، وكانت البلاد غاية في الاضطراب ، فاستعمل الشدة والحزم في سبيل استتباب الأمن حتى سكنت وعم فيها الاستقرار (١).

وفي سنة ٨٧٢هـ اضطربت الشام ومصر من غزوة قام بها عسكر يعقوب بن حسن الطويل على حلب ودمشق ، حيث سحق فيها جيش المماليك، فأعد له السلطان جيشاً آخر ، ولولا فعله ذلك لخرجت من يده غالب جهات حلب . (٢)

وفي سنة ٨٨٩هـ دبّ الخلاف بين سلطان مصر وسلطان الأتراك ، فتطور الخلاف إلى حروب ، فكانت في البداية سجالاً بين الطرفين ، ثم بدأت كفة العثمانيين ترجح لصالحهم ، ففي سنة ٨٩٠هـ استولى جند العثمانيين على قلعة كولك من حلب ، وفي السنين التالية استولى على سيس وطوس ، وغيرهما ، فأخذ السلطان المملوكي يرسل بالتجريدة أثر التجريدية ، فساء حال الشام وضربت الصقاع الشمالية منها (٣).

وفي سنة ٩٠١هـ توفي الملك الأشرف قايتباي ، فخلفه ابنه محمد الناصر ، فلم يدم حكمه طويلاً ، كما لم يدم حكم من جاء بعده طويلاً أيضاً ، وذلك أن الأشرف جان يشبك الذي تولى السلطة سنة ٩٠٥هـ ، والملك العادل طومان باي الذي تولاها سنة ٩٠٦هـ ، (ولم تدم مدة حكم هذا الأخير أكثر من ثلاثة أشهر ونصف) ، لم يستطع أي منهم إصلاح شيء من الأحوال المضطربة في البلاد ، فكان ذلك في صالح العثمانيين الذين يحاولون السيطرة التامة على الشام ومصر ، وانتزاع الحكم عليها من أيديهم (٤)

وفي سنة ٩٠٦هـ تولى السلطة الملك الأشرف قانصوه الغوري ، ودام ملكه حتى سنة ٩٢٢هـ الذي قتل في المعركة التي كانت بين الجيش العثماني بقيادة السلطان سليم ، والجيش المملوكي بقيادة الأشرف الغوري في مرج دابق ، فانهزم المماليك ، واستولى السلطان سليم على حلب ، وحماة ، وحمص ، ثم قدم دمشق ، فخرج أهلها إلى لقائه ، وطلبوا منه الأمان فأمّنهم ، ومكث فيها فترة يضبط حصون المدينة ، ويمهد أمورها ، ثم سار بجيشه إلى مصر عن طريق البر ، ففتح نزه حرباً ، ثم التقى مع جيش المماليك بالقرب من بيان ، ثم خان يونس ، حتى دخلوا القاهرة ، فقتلوا الأشرف طومان باي على باب زويلة شنقاً ، وكان قد تولى السلطة في نفس السنة .

وفي هذه الأثناء تنازل للسلطان سليم الخليفة العباسي المتوكل على الله عن حقه في الخلافة الإسلامية ، ومن ذلك الوقت صار كل سلطان عثماني أميراً للمؤمنين ، وصارت إليهم السلطة الدينية والدنيوية معاً (٥) .

وفي سنة ٩٢٦هـ توفي السلطان سليم ، فتولى السلطنة بعده ابنه سليمان القانوني ، وما إن بلغ ذلك والي دمشق جان بردي الغزالي حتى أعلن عصيانه ، ودعا لنفسه بالسلطنة ، وجمع حوله أعراب البادية ، فوقعت بينه

وبين الجيش العثماني وقائع اندحر جيشه في آخرها ، فقتله خازن أمواله ، فذهب ودولته الموهومة (٦) .

وفي سنة ٩٣٠هـ خرج الدروز في الشوف على والي دمشق خدم باشا، فجهز حملة لقتالهم ، فقاتلهم وقتل الكثير منهم ، وأحرق قراهم ، وسبى نحو ٣٦٠ من النساء والأطفال ، وغنم ما لا يحصى من النعم وغير ذلك (٧) .

وبعد ذلك هدأت الفتن والثروات والقلاقل إلى حد ما ، وظل سليمان القانوني ماكثا على كرسي الخلافة حتى توفى سنة ٩٧٤هـ ، وله من العمر ٧٦ سنة وكانت مدة سلطته ٤٦ سنة ، فيها وصلت هذه الدولة إلى نهاية عظمتها ، فاستولت على بلاد العرب والعجم ، ووصلت فتوحاتها إلى فينا قاعدة النمسا ، واستولت على الجزائر وغيرها من بلاد المغرب ، وقد انتهت باستيلائها على تلمسان دولة بني زيان سنة ٩٥٢هـ ، واستولت على اليمن وغيره من بلاد العرب ، وكان لهذا السلطان كثير من الإصلاحات الدينية والمدنية (٨) .

ثانياً : الحالة الاجتماعية :

كانت أحوال المسلمين عامة في تلك الفترة سيئة للغاية ، حيث إنها كانت مليئة بالفتن والثورات والاضطرابات التي عمت بلاد الشام قاطبة ، وشملت جميع أنحائه ، فزعزعت في نفوس ذلك المجتمع الأمن ، وحطمت فيهم الاستقرار ، هذا عدا الكوارث الطبيعية والأمراض والأوبئة التي نزلت ببعض بلدانه ، فشتّت حياتهم ، وغرست الكآبة والوجوم في أبنائها .

فقد تخلل عهد المماليك بجملته فترات من الجدب والمجاعة والوباء ، ووقعت فيه زلازل زادت في أسباب الخراب والدمار ، فكان من أسباب هذه الكوارث ، ومن سوء إدارة المماليك ، أن هبط عدد السكان في سورية إلى نحو الثلث ، مما كان عليه سابقاً (٩) .

وقد كان للفتن والمصائب التي قام بهـا ولاة دمـشق وغيرهـا الأثـر الكبيـر في اضطراب النفوس الشامية وإيقاعها في كـابوس لا ينـسى ، وظـلام مخـيم لا ينقشع ، ففي سنة ٨٨٠هـ صدرت من برهان الـدين النابلـسي وكيـل الـسلطان قايتباي قبائح عظيمة بأهل دمـشق ، فطغـى وتجبـر ، وخـرّب الـبلاد واحتكـر الأقوات ، وطفف الكيل ، وغش الحبوب وتـسبب فـي الجزيـة علـى المـدارس ، وغير ذلك ، وقد وصفت مظالمه بما تقشعر منه الأبدان ، وقـد مكـث علـى هـذا إلى أن قبض عليه . (١٠) .

وفي سنة ٨٩٧هـ أشـتد الوبـاء والمـرض بدمـشق وحلـب وغيرهـا مـن البلاد الشامية ، ومات بالطـاعون الكثيـر والكثيـر ، وقـد بلـغ عـدد الهـالكين بدمـشق كـل يـوم حـوالي ثلاثـة آلاف فـرد وبحلـب فـي كـل يـوم ألفـا وخمسمائة (١١) .

وفي سنة ٩٠٨هـ حـدثت فتنـة بالـشاغور بدمـشق ، كـان مـن نتائجهـا إحراق المحلة ، وقتل أناس كثيرين ، كما حدث في نفـس الـسنة ضـرب النائـب على أهل دمشق أموالاً ، لأجـل مـشاة تخـرج معـه إلـى حلـب تجريـدة لقتـال الخارجي حيدر الصوفي ، وذلك مع وقوف حـال النـاس واضـطرابهم مـن الظلـم وكثرته ، والنوائب وشدتها (١٢) .

وبعد القـضاء علـى جـان بـردي الغزالـي وقتلـه ، لاحـق العـسكر بقيـة الهاربين إلى الصالحية ، ونـواحي دمـشق ، فـارتجف النـاس رجفـة عظيمـة ، وساورهم القلق والاضطراب ، وقتـل مـن شـباب الـصالحية نحـو الخمـسين ، ومن كل حارة نحو المائة ، وكذا في باقي القـرى ، وقيـل إن عـدد القتلـى كـان ٧٠٧٠ فرداً (١٣) ، كما فقد وأعدم الكثير من الكتب العلميـة ، وقـد أشـار ابـن طولون في كتابة الفلك المشحون إلـى انعـدام بعـض كتبـه وفقـدانها فـي هـذه الفتنة (١٤) .

ونتيجة لهذه الفتن والاضطرابات مع ما وجد من كوارث وأمراض ـ كان المجتمع الدمشقي بل الشامي عامة يعيش حياة تعيسة دامت طويلاً ، واكتئاباً مظلماً خيم سنيناً ، وحلماً مفزعاً ملك عليه جوامع نفسه ، فشلت حركة البلاد ،وعم فيها الفساد ، وتلاحقها الويل من كل جانب .

ثالثاً : الحالة العلمية :

نكبت الحضارة الإسلامية عندما طغى سيل التتار على آفاق الشرق الإسلامي والبلاد العربية ، فسقطت بغداد سنة ٦٥٦هـ على يد الطاغية هولاكو التتري ، وارتكب فيها الجرائم الشنعاء ، وأباد ثروة المسلمين العلمية الضخمة ، وقتل الكثير من العلماء والفقهاء والأعيان (١٥) .

وقد استكمل هذا الفساد في عهد عقبة تيمورلنك ، حتى خمدت شعلة العلم، وانطفأ سراج المعرفة ، فحاول الخواص من العلماء والأدباء استرجاع مجدهم الزائل ، فأكبوا على معارف سابقيهم من مختلف العلوم والآداب ، وقاموا بجمعها ، واختصارها ، وشرحها ، والتعليق عليها (١٦) .

وقد كان عصر المماليك عصر تجميع وتقليد أكثر منه عصر توليد وإبداع.

ومع هذا فقد بقيت دمشق والقاهرة ، لا سيما بعد خراب بغداد ، وانهيار الحكم الإسلامي في أسبانيا ، المقدمتين في شؤون التعليم والفكر في العالم العربي (١٧) .

وقد كان عماد النهضة العلمية في النحو في هذين القطرين جالية الأندلس والمغرب الذين توجهوا إليها عندما كان العراق محتضراً ، والأندلس ماثلاً للزوال ، حيث بثوا علمهم فيهما ، وأذاعوا مصنفاتهم بين الناس ، فتخرج عليهم تلاميذ كانوا أعيان العصور المتأخرة ، وأصبحت مؤلفاتهم نبراسا يضيء الطريق لمن جاء بعدهم من العلماء ، فألفية ابن مالك طاف

المؤلفون حولها وكثرت الشروح عليها بين وجيز ووسيط وبسيط ، ، ووزعت دراستها على مراحل التعليم ، باعتبار شروحها سهولة وصعوبة واختصاراً وتطويلاً (١٨).

وقد طرأ على التأليف في هذا العهد اتجاه جديد ، حيث ذهب المؤلفون ينشئون المتون من المطولات ، ويبالغون في إيجازها ، ثم تدعوهم الحاجة إلى شرحها ، ثم وضع الحواشي على الشروح أحياناً ، وأقرب الأمثلة لهذا شروح ألفية ابن مالك ، وكافية ابن الحاجب وغيرهما (١٩).

كما أنه جد في هذه الشروح والحواشي أشياء قد لا تعود على النحو بطائل ، وذلك كالاهتمام باللهجات العربية لكثير من الكلمات ، مما يمتّ إلى فقه اللغة بسبب وثيق ، وكالتعليل والتوجيه للآراء النحوية المتضاربة ، وغير ذلك .

ولكن هذا لم يكن ليذهب بمحاسن هذه المصنفات ، فلا يزال أكثرها إلى يومنا هذا ممتاز طلاب النحو ومطمع أنظارهم .(٢٠)

أما عصر العثمانيين فقد كان عصر جمود وعقم إلى حدّ ما ولا غرو في ذلك ، فالحكم الاعتباطي ، والضرائب الفادحة ، والتدهور الاقتصادي ، والانهيار الاجتماعي ، إضافة إلى فرض اللغة التركية ، كل هذا لا يغري بالابتكار والتجديد ، أو الإنتاج الخلاق في العلم والفن والأدب، فقد استمر عصر الجمع والتعليق ، والاختصار ، والتقليد الذي بدأ قبل ذلك بقرون عديدة، ولكن نتائجه كانت أقل وأضعف مما قبله ، لكن هذا لا يمنع من وجود بعض علماء على فترات متقطعة أجادوا في التصنيف والتأليف ترتيباً وتقريباً وتهذيباً ، وإن لم يكن لهم إبداع في ذلك أو تجديد . (٢١)

المبحث الثاني

اسمه ونسبه ، كنينه ، لقبه ، شهرته ، مذهبه الفقهي

أولاً : أسمه ونسبه :

هو محمد بن علي (٢٢) بن أحمد (٢٣) (المدعو محمد) (٢٣) بن علي بن خمارويه بن طولون .

ثانياً – كنيته :

أما عن كنيته التي اشتهر بها وتناقلتها كتب التراجم فهي" أبو عبد الله" . (٢٥)

لكن ابن طولون ذكر لنفسه كنية أخرى ، فقال في كتابه الفلك المشحون، متحدثا عن كنيته : " والمكنّى بأبي الفضل ،كناه بذلك قريبه على بعد شيخ الإسلام تقي الدين ابن قاضي عجلون الدمشقي " . (٢٦)

ثالثا- لقبه :

أما لقبه الذي ذاع صيته به ، ودونته كتب ترجمته – فهو" شمس الدين". (٢٧) .

رابعا – شهرته :

أما شهرته التي دوى ذكره بها وعرف ، فهو : ابن طولون (٢٨) .

خامسا – نسبته :

الدمشقي الصالحي (٢٩) .

١ – الدمشقي : نسبه إلى دمشق ، عاصمة سورية الآن .

٢ – الصالحي : نسبه إلى الصالحية .

والصالحية : قرية كبيرة ذات أسواق وجامع في سفح جبل قاسيون من غوطة دمشق ، وفيها قبور جماعة من الصالحين ، ويسكن فيها أيضاً في

ذلك الوقت جماعة من الصالحين لا تكاد تخلوا منهم ، وأكثر أهلها ناقلة من نواحي بيت المقدس على مذهب أحمد بن حنبل (٣٠) .

وهي الآن حيّ من أحياء مدينة " دمشق " عاصمة " سورية " .

واختلف في تسميتها بالصالحية ، فقيل : لكونها بفسح جبل قاسيون ، وهو معروف بجبل الصالحين ، وقيل نسبه إلى الصالحين لصلاح من ابتدأ وضعها.(٣١) .

والصالحية : إسلامية محدثة في أواخر القرن الخامس ، وكان سبب وضعها مهاجرة أولاد قدامه المقدسة رضي الله عنهم من تلك البلاد إلى دمشق من جور الفرنج (٣٢) .

سادسا – مذهبه الفقهي :

اتفقت مصادر ترجمته التي ذكرت مذهبه على أنه كان حنفي المذهب (٣٣).

وقد أكد هذا تصريحه بذلك في كتابه الفلك المشحون (٣٤) .

ومما يدلل على ذلك تصنيفه كتبا عديدة ، في فقه الحنيفة .

كما أنه صرح بذلك في شرحه لألفية ابن مالك ، حيث قال : " والله " اسم للذات الواجب الوجود ، المستحق لجميع المحامد ، المستجمع لجميع الصفات، والأصح أنه علم غير مشتق كما ذهب إليه خلق من الأئمة ، منهم إمامنا أبو حنيفة (٣٥) .

المبحث الثالث

مولده ووفاته

أولاً – مولده :

وفي منزله الكائن بحكر الحجاج الشهير الآن بحكر بني القلانسي (٣٦) ، قبلي مدرسة الشيخ أبي عمر (٣٧) (وفي الشذرات : بالسهم الأعلى قرب مدرسة الحاجبية) (٣٨) بصالحية دمشق (٣٩) من سفح قاسيون (٤٠) .

وكان مولد هذا العالم الجليل سنة ٨٨٠هـ (٤١) تقريباً (٤٢) ، من شهر ربيع الأول تحقيقاً (٤٣) .

ولم أجد فيما رجعت إليه من مصادر اختلافا في سنة ولادته إضافة إلى تصريح ابن طولون نفسه في كتابه الفلك المشحون حيث ذكر أن ولادته كانت سنة ٨٨٠هـ تقريباً .(٤٤)

ثانياً – وفاته :

وكانت وفاة العالم المتفنن الذي أثرى المكتبة الإسلامية والعربية بمؤلفاته الكثيرة والمتنوعة يوم الأحد (٤٥) العاشر (٤٦) أو الحادي عشر (٤٧) أو الثاني عشر (٤٨) ، من جمادى الأولى (٤٩) سنة ٩٥٣هـ ،ودفن بتربة أسرته (٥٠) عند عمه القاضي جمال الدين (٥١) ، بالسفح قبلي الكهف (٥٢) ، والخوارزمية (٥٣) ، ولم يعقب أحداً (٥٤) ، ولم يكن له زوجة حين مات (٥٥) .

وقد أجمعت مصادر ترجمته على سنة وفاته دون خلاف (٥٦) .

المبحث الرابع

شيوخه وتلامذته

أولاً – شيوخه :

مما لا ينكر أن ابن طولون كان شخصية علمية ثقافية واسعة ، كثيرة المعارف ، متعددة الجوانب ، جذورها متأصلة ضاربة في كل فن وعلم ، لذا كان تعدد شيوخه وكثرتهم تبعاً لتلك الروافد التي شكلت هذه الشخصية العلمية الثقافية الفذة ، من علوم عربية ، وعلوم شرعية ، وتاريخ ، وطب ، وهندسة ، وغيرها ، وقد ذكر المؤلف في كتابة الفلك المشحون بعضا من هؤلاء الشيوخ ، منهم :

شيخ الإسلام زين الدين بن العيني الصاحي ، وشيخ الحنيفة عز الدين ابن الحمراء ، وشيخ الشافعية تقي الدين بن قاضي عجلون ، وشيخ الحنابلة شهاب الدين العسكري ، وقاضي قضاة الحنيفة محب الدين ، وقاضي قضاة الشافعية شهاب الدين بن الفرفور ، وقاضي قضاة الحنابلة نجم الدين بن مفتاح ، وقريبه القاضي تقي الدين بن قاضي زرع ، والسند القاضي برهان الدين القطب ، والمحدث جمال الدين بن عبدا لهادي ، ومحيي الدين الأزدي المقري ، وناصر الدين بن زريق ، وأبو زيد القباني المقدسي الحنبلي ، وعز الدين عبدا لرحمن بن محمد بن الفرات ، وأبو الفتح المزي ، والمسندة خديجة الأموية ، وجمال الدين بن المبرد ، وشمس الدين بن رمضان ، وعمه العلامة جمال الدين بن طولون ، وملا عبد النبي شيخ المالكية ، وبرهان الدين بن عون الحنفي ، وعبد الصمد الهندي ، وجلال الدين السيوطي ، والشهابي بن شكم ، والشمس الغزي ، وملا جمال الدواني ، والشمس بن نصير ، والشمس بن مكي رئيس الأطباء بدمشق ، والشهابي الفرعوني ، وابن مليك شيخ فن الأدب ، والشيخ عرفة الوراق ، والتقى

الحلبي مرجع الحساب ، وأبو الحسن المنوفي ، وأبو الفضل المؤذن ، وأبو الفتح السكندري ، وغيرهم (٥٧) .

ثانياً – تلامذته :

غالبا ما يتردد طلاب العلم وروّاد المعرفة على فحول العلماء وأكابرهم ، كل يحاول أن يتزود بما تصبو إليه نفسه من المعارف ، ويروق لها طبعه من العلوم .

وليس غريباً أن يلتف حول هذا العالم الجليل جمع غفير من هؤلاء الرواد، يأخذون منه ، ويروون عنه ، فهو ذو شخصية علمية واسعة الآفاق والمدارك ، بارعة في علوم وفنون كثيرة ، إضافة إلى أنه تولى تدريس الحنيفة بمدرسة شيخ الإسلام ابن عصرون والإمامة بالصالحية ، فقصده الطلبة من كل صوب وجانب ، ورغب الناس في السماع منه ، وكانت أوقاته معمورة بالتدريس والإفادة والتأليف .

وممن أخذ عنه جماعة من الأعيان ، وبرعوا في حياته : الشيخ شهاب الدين الطيبي شيخ الوعاظ والمحدثين ، والشيخ علاء الدين بن عماد الدين ، والشيخ نجم الدين البهنسي خطيب دمشق .

وممن أخذ عنه آخرا : شيخ الإسلام إسماعيل النابلسي مفتي الشافعية ، والشيخ العلامة زين الدين بن سلطان مفتي الحنيفة ، وشيخ الإسلام شمس الدين العيشاوي (٥٨) مفتي الشافعية ، وشيخ الإسلام شهاب الدين الوفائي مفتي الحنابلة ، والقاضي أكمل بن مفلح وغيرهم (٥٩) .

المبحث الخامس

نشاته وطلبه للعلم

ولد بن طولون بصلاحية دمشق من جبل قاسيون في بلاد الشام سنة ٨٨٠هـ (كما تقدم أنفاً) ، وقبل أن تقوى رجلاه على حمله توفيت والدته أزدان الرومية ، وكانت تحسن لسان الأروام شهيدة بالطاعون (٦٠) .

فنشأ وترعرع في كنف والده على بن طولون ، الذي لم نطلع على ترجمته أو اتجاهه ، وعمه أخي أبيه جمال الدين يوسف بن طولون الذي كان يكتسب بالتجارة ، ثم أقبل على الاستقلال بالعلم ، حتى صار قاضياً ومفتياً بدار العدل في دمشق ، وأخي جدة لأمه الخوجا برهان الدين بن قنديل، الذي كان تاجراً في دمشق .

وفي سن مبكرة لابن طولون أرشده عمه جمال الدين إلى طلب العلم فتبعه ، وكان والده ينصحه بأن يعتمد على صنعة في حياته إضافة إلى طلب العلم ، وينشده قصيدة العلامة أبي شامة التي مطلعها :

اتخذ حرفة تعش بها يا * طالب العلم إن للعلم ذكرا

لا تهنه بالأثقال على الورق * فيمضي الزمان ذلاً وعسرا (٦١)

فأخذ في تعلم الخط ، ولما يبلغ من العمر سبع سنوات بمكتب المدرسة الحاجبية ، بالقرب من منزله (٦٢) .

وقد سعى به إيمانه الراسخ ، وهمته العالية إلى حفظ القرآن الكريم ، فحفظه بمكتب مسجد الكوافي (٦٣) ، وفي هذا المسجد صلى بالقرآن بعد إتمام حفظه له ، وكان الختم ليلة أحدى وعشرين من شهر رمضان المعظم سنة ٨٨٧هـ ، وحضر خلفه كثير من أعيان علماء عصره .

وفي أوائل سنة ٨٨٧هـ كانت وفاة جده الخوجا شمس الدين بن طولون فجأة بالصالحية ، ثم وفاة أخي جده الخوجا برهان الدين بمكة ، وقد جاء خبر وفاته إلى دمشق في رجب من السنة نفسها .

وبعد تعلمه للخط وحفظه للقرآن الكريم التفت إلى تحصيل العلم ، وارتشاف المعرفة ، فانطلق مقبلاً على النهل منهما بروح عالية ، وهمة مشحونة بالصدق والإخلاص ، فبدأ أول الأمر بحفظ الكثير من الكتب المصنفة في علوم وفنون مختلفة ، فحفظ المختار في الفقه الحنفي ، وكتاب المنار في أصول الفقه ، والألفية لابن مالك ، والمقدمة الآجرومية ، والحدود لأبي عبدا لله الأبدي ، والمقدمة الجزرية ، ثم بدأ في عرض محفوظاته على جماعة من الأئمة والعلماء والأعيان ، وذلك في سنة ٨٩٤هـ .

وقد تابع مسيرته العلمية في حفظ الكتب والمصنفات ، فحفظ تلخيص المفتاح للقزويني ، وكتاب الشمسية في المنطق للكاتبي ، والتبصر والتذكرة للعراقي ، وحرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع للشاطبي ، والدرة في القراءات الثلاث تتمة العشرة لابن الجزري ، ثم عرضها على جماعة من أعيان علماء عصره .

وفي غضون حفظه لتلك الكتب المتعددة العلوم ، حدا به جهد العلماء وصفاء صدرهم إلى تلاوة القرآن الكريم بالقراءات السبع إفراداً وجمعاً من طريقي الشاطبية ، ثم تلاوته بالثلاثة تتمة العشرة .

ثم بدأ يتنقل في حلقات الدرس لأكابر علماء عصره ، يقرأ عليهم ويأخذ منهم علوماً وفنونا كثيرة ومتعددة ، كعلم الحديث ، والكلام ، وأصول الفقه ، والنحو وأصوله ، والتصوف ، والمنطق ، والتفسير ، والعروض ، والقوافي، والطب ، والهيئة ، والهندسة ، والمعاني والبيان والبديع ، والحساب ،

والفرائض ، والبنكامات(٦٤) ، والفلك ، والطبيعي، والتاريخ ، واللغة ، والفقه ، وغيرها (٦٥) .

ومن مسيرته العلمية الجادة هذه يمكن لنا أن ندرك مدى ما كان يتمتع به هذا العالم الجليل من همة قوية راسخة ، وشخصية علمية رائعة ، وما وهبه الله من فكر وقاد ثاقب ، وذكاء مميز خارق ، فبلغ مبلغاً رفيعاً في عصره ، وأصبح موسوعة علمية وثقافية فريدة في المجتمع الإسلامي ، تتطلع إليه الأنظار في كل زمان ومكان ، فذهب يؤلف ويصنف في كل علم وفن ، ويدرس ويفتي في كل مدرسة وجامع .

المبحث السادس

الوظائف التي شغلها

وقد تولى ابن طولون في حياته الحافلة بالدرس والتحصيل ، والإفادة والتدريس ، والتأليف والتصنيف ـ جملة من الوظائف الإدارية والعلمية ، وهي :

قراءة القرآن ، قراءة الحديث ، الإمامة ، الخطابة ، التصوف، التدريس ، عقد النكاح ، مشيخه زاوية ، مشيخة خانقاه ، نيابة النظارة ، النظارة . (٦٦)

المبحث السابع

شعره

أما شعر بن طولون رحمه الله فقد وصفه في الفلك المشحون بقوله : " وأما شعري وإن كان ركيكا ، ، فإن لي في ضعفه شريكا ، ولا يخلو من فائدة تلقى ، وموعظة تثبت ولا تنفى ، وغزل ينشي بقهوته الحاسي ، ويلين القلب القاسي ، ورقيق نسيب يلعب بالألباب ، ويشوق إلى الأحباب ، ولست

ممن بالشعر يفتخر ، إذ هو أقل محاسن ذوى الفضائل ، وأحسن ما يتحلى به الجاهل ، وما أحسن قول الإمام الشافعي رضي الله عنه :

ولولا الشعر بالعلماء (٦٧) يزري * لكنت اليوم أشعر من لبيد (٦٨).

انتهى وله ديوانا شعر ، الأكبر والأصغر .

وقال الغزي في الكوائب السائرة : ومن جيد قوله ملمحا بالحديث المسلسل بالأولية:

أرحم محبك يارشا * ترحم من الله العلي

فحديث دمعي من جفا * ك مسلسل بالأولي (٦٩)

وقال : رأيت بخط بعض الفضلاء أن من شعره رحمه الله تعالى :

ميلوا عن الدنيا ولذتها * فإنها ليست بمحموده

واتبعوا الحق كما ينبغي * فإنها الأنفاس معدوده

فالطيب المأكول من نحلة * وافخر الملبوس من دوده (٧٠)

المبحث الثامن

مكانته العلمية وآراء العلماء فيه

بلغ بن طولون مكانة علمية رفيعة المستوى وسامية المقام في المجتمع الإسلامي ، حظيت بكل تقدير واحترام ، حيث بدأ حياته العلمية وهو في ريعان الصبا ، متنقلاً بين حلقات الدرس الكثيرة ، فحفظ القرآن الكريم ، وقرأه على قراءاته العشر ، كما حفظ الكثير من المؤلفات العلمية المختلفة الفنون ، وقرأ الكثير منها على جم كثير من علماء عصره ، وما زال كذلك حتى ظهر أمره ، وعلا شأنه في علوم كثيرة ومتنوعة ، فكان العالم الفطن ، والمحقق المدقق ، ذا الذهن الوقاد والقلم السيال ، وصاحب الهمة العلية والنفس الذكية ، التقى الورع ، المميز بشخصية علمية دقيقة ، واسعة الأفاق والمدارك ، بل موسوعة علمية وثقافية كبيرة مترامية الأطراف ، وقد ملك

زمام التأليف والتصنيف ، فكان ذا مهارة فنية عالية في ذلك ، فألف نحواً من (٧٦١) مؤلفاً في شتى المجالات العلمية الكثيرة التي خاض غمارها ، وتصدى للتدريس والإفادة والفتيا في أماكن متعددة ، ومدارس كثيرة ، وقصده الطلبة ورغب الناس في السماع منه ، والرواية عنه .

وقد مدحه وأثنى عليه علماء عصره من شيوخ وتلاميذه وغيرهم من خلال ما كتبوه له في عرض أو إجازة أو غير ذلك ، ووصفوه بعبارات الإطراء وعلو الشأن ، ورفعة المقام .

فكتب له العلامة محيي الدين الأيدي المقري إجازة في قراءة القرآن بالسبع ، قال فيها : " وكان ممن سلك طريق القوم ، ولم يخش المخاوف ولا اللوم ، وجاهد نفسه في حب تحصيل كتاب الله العزيز ، ودرس في علم ما يتعلق به من التجويد ، فحاز سهام السبق بفهمه الثاقب ، فأصبح ذا فخار ومناقب ، فيا له من إمام أصبح قادة لمن اتبعه ، وسادة لمن أخذ عنه ، وبعلمه نفعه ، فكم أسهر في مطالعته عينيه ليلاً ، وكم قطع نهاره في فهم معاينه ، هو الشيخ العلامة والحبر الفهامة ، صدر الأفاضل وعين عيون الأماثل ، الذي ألحق باجتهاده بالعلماء الأوائل الشيخ شمس الدين " ، إلى أخر الإجازة . (٧١)

وكتب له العلامة شمس الدين بن الشيخ علوان الحموي الشافعي ، فقال بعد البسملة : " من عبيد الله وفقير عفو رب البرية محمد بن علوان بن عطية إلى حضرة الإمام الفاضل ، والعالم العامل ،ذي التحقيقات التي سارت بها الركبان ، والتدقيقات التي حارت فيها العقول والأذهان ، مالك أزمة المعاني بلطيف بيانه ، فلذا أضحى سيبويه عصره ، وزمخشري زمانه ، العلم ، الفرد ، المحقق ، العلامة ، ذي الفخر والفخامة ، الدر المكنون والجوهر الفرد المصون أبي عبدالله ".....الخ . (٧٢)

وقد أورد بن طولون في كتابه الفلك المشحون (٧٣) كثيرا من هذه الكتابات التي تدلل على نبوغه ، وسعة علمه ، ورسوخ قدمه .

المبحث التاسع

مؤلفاته العلمية

نتيجة لسعة اطلاع بن طولون الدمشقي وغزارة علمه كانت مؤلفاته كثيرة تفوق الحصر تبعا لذلك العلم والاطلاع ، فقد ألف كمّا هائلا وعددا ضخما من المصنفات العلمية في علوم كثيرة وفنون مختلفة ، شملت النحو وأصوله والتصريف واللغة والعروض والقوافي والمعاني والبيان والبديع والمنطق والتجويد والقراءات والتفسير وعلوم القرآن والحديث وأصوله والفقه وواصوله والفرائض والكلام والإلهيات والتاريخ والحساب والهندسة والطبيعة والفلك والميقات والبنكام والطب ، إضافة إلى الأبحاث الدينية والأدبية والاجتماعية ، وقد بلغ عدد ما استطعت حصره منها (٧٦١) مؤلفا ، ذكر ابن طولون جلّها في كتابه الفلك المشحون ، فأضاف بذلك رصيدا ضخما وثروة عظيمة إلى المكتبة الإسلامية والعربية استفاد منها خلق كثير على مر العصور والأجيال .

ويبدو أن أغلب هذه المؤلفات عبارة عن رسائل صغيرة ، علما أن هناك عدداً كبيراً منها يقع في مجلد أوعده مجلدات ، ومن أشهرها في علوم العربية شرحه على ألفية ابن مالك ، الذي سيأتي الحديث عن منهجه فيه في **المبحث العاشر من هذا البحث .**

وقد ذكر بروكلمان في تاريخه أن حوالي أكثر من ١٠٠ مجموعة له موجودة في مكتبة احمد تيمور (٧٤) ، وقد بحثت عنها في دار الكتب المصرية (مجاميع تيمور) فلم أعثر إلا على بعض منها .

المبحث العاشر

منهج المؤلف وأسلوبه في كتابة شرح الألفية

أشار ابن طولون في مقدمة كتابة إلى المنهج العلمي العام الذي التزمه وسار عليه في الشرح كما أشار إلى السبب الذي دعاه إلى تأليفه ، فقال بعد أن حمد الله وصلى على رسوله وسلّم :

" فهذا شرح لطيف على الألفية الموسومة بالخلاصة لسيبويه العصر جمال الدين ابن مالك ، تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوحة جنته ، يحل للمشتغلين مشكلها ويفتح للمتأملين مقفلها ، من غير تعرض للنقل عليها ولا إضافة غيرها إليها ، ولا إنشاء شواهد إلا مالا بدّ منه ، ولا إيراد مذاهب إلا مالا مندوحة عنه. " (٧٥)

ثم قال : " سألني بعض الأخوان الذين هم بمنزلة العين للإنسان أدام الله بهجته و حرس للأنام بهجته ــ أن أضع له شرحا على نحو ما ذكرته وأبيّن ألفاظها ومعانيها على حسب ما وصفته فبادرت إلى امتثاله وإن لم أكن من هذا القبيل ولا من أمثاله ، والله تعالى المستعان وعليه التعويل وهو حسبنا ونعم الوكيل . " (٧٦) .

وبالنظرة الفاحصة والمستقصية في هذا الكتاب يمكن لنا أن نشير إلى أهم الخصائص والسمات التي اتسم بها هذا الشرح ، وكانت على النحو الآتي :

أولا- الالتزام بالأبواب والفصول التي ذكرت في الألفية دون الخروج عليها أو تجاوزها .

ثانيا- إيراد بيت أو أبيات من الألفية معناها متصل ثم يأتي بشرح لطيف يحل به المشكل من الألفاظ والقفل من التراكيب بأسلوب سلس ميسر وعبارات واضحة متقنة دون الجنوح إلى التعقيد والالتواء أو الميل إلى

الأسلوب المنطقي الممل ، فأتاح بذلك للباحث الفرصة للاطلاع على هذا الشرح والإلمام بالقواعد والآراء الواردة فيه من غير أن يلجئه إلى إجهاد فكره أو تشتيت ذهنه .

ثالثا- عدم الميل إلى الاستطراد في الشرح بشكل عام ، بل يكتفي بأن يكون شرحه وافيا بما احتواه النظم ، موضحا لمبهمه مبينا لغامضة ، وربما نجده أحيانا يستطرد بذكر الآراء الخلافية في بعض المسائل النحوية أو بشرح بعض المفردات اللغوية أو بإعراب بعض الأمثلة الواردة في النظم أو بالتعريف ببعض القبائل والأمكنة ، ولكننا نرى استطراده في ذلك مقتضبا إلى حدّ ما ، بحيث لا يفوّت على الباحث الإلمام بجميع جوانب المسالة المعروضة ولا يضيع عليه الغاية المرجوة من الشرح .

رابعا- الاعتناء بذكر التعريفات والحدود النحوية في أوائل الأبواب والموضوعات وقد يعتمد في ذلك على التعريف الوارد في النظم ، وأكثر ما يخصه بالذكر الاصطلاحية منها ، وقد يجمع أحيانا بين التعريفين الاصطلاحي واللغوي ، وكثيرا ما نراه يقوم بإخراج المحترزات من التعريف الاصطلاحي التي يظهر للباحث لأول وهلة أنها داخله في الحد ولكنها ليست منه في الحقيقة .

خامسا- استعمال اصطلاحات المدرسة البصرية وإيراد الكثير من القواعد والأحكام بما يتفق والمذهب البصري ، وقد يتبع ذلك بذكر رأى المخالف لهم من الكوفيين عامة أو الكسائى والفراء على وجه الخصوص ، وقد يصرح أحيانا باختيار مذهب البصريين وأخرى باختيار مذهب الكوفيين لدليل صحّ عنده ورجح في فكره ، فشخصيته العلمية لم تكن لتجعله متعصبا للبصريين هكذا على الدوام دون اقتناع منه أو قوة دليل .

سادسا- إيراد الكثير من اختيارات ابن مالك في الألفية وغيرها من مؤلفاته، كالتسهيل وشرح الكافية و عمدة الحافظ .

سابعا- الاحتجاج بالسماع والقياس والإجماع كثيرا ، والاعتداد بها والاعتماد عليها في إثبات كثير من المسائل النحوية أو نفيها ، كما اعتد أيضا بالعلة النحوية وصرح بها في كثير من المواضع .

ثامنا- الاهتمام بالشاهد النحوي بشكل عام والاستشهاد به على كثير من المسائل والأحكام ، فاستشهد بالقرآن الكريم مع قراءاته المتعددة وبالحديث النبوي الشريف وبالشعر وبأمثال العرب وأقوالهم المأثورة .

تاسعا -الاهتمام بذكر لغات القبائل العربية ولهجاتها المختلفة التي كثيرا ما يترتب عليها خلاف نحوى أو تكون دليلا لبعض العلماء يدللون بها على ما ذهبوا إليه من أراء ، وذلك كلغة الحجازيين والتميميين وأسد وهذيل وقيس وطيّ ، وغيرها ، وقد يتعرض لذكر اللغات الواردة في بعض الكلمات مع ذكر اشتقاقها أحيانا .

عاشراً -النقل عمّن سبقه من علماء المدرستين البصرية والكوفية كسيبويه والمبرد والأخفش والزجاج والكسائى والفراء وثعلب ، وغيرهم ، وذكر أرائهم النحوية في كثير من المسائل ، والاهتمام بإيراد ذلك بأسلوب واضح ميسر واختيار مايراه راجحا عنده منها ، فأحيانا نراه يوافق سيبويه ومذهبه، وأخرى نجده يميل إلى المبرد ورأيه ، وقد حرص على النقل عن إمام النحاة سيبويه وعرض رأيه في كثير من المسائل الخلافية ، حيث إنه أورد رأيه فى خمسة وخمسين موضعا من الشرح .

الخاتمة

في هذه الخاتمة يمكن لنا أن نستخلص أهم نتائج البحث ، وهي كما يأتي :

١- أن العصر الذي عاش فيه ابن طولون الدمشقي كان مائجا بالحروب والصراعات السياسية بين المماليك والعثمانيين ، لكن في نهاية الأمر استقر الحكم للعثمانيين .

٢- أن المجتمع في عصر ابن طولون كانت أحواله مليئة بالفتن والثورات والاضطرابات التي عمت بلاد الشام قاطبة ، ، هذا عدا الكوارث الطبيعية والأمراض والأوبئة التي نزلت ببعض بلدانه ، فشتّتت حياتهم ، وغرست الكآبة والوجوم في عقولهم .

٣- أن ابن طولون كان ذا همة عالية في التحصيل والتدريس والتأليف والفتيا على الرغم من الحالة المضطربة التي كانت تسود البلاد سياسيا واجتماعيا .

٤- أن المؤلفات العلمية في عصر ابن طولون كانت تتسم بعنصر التجميع والتقليد دون أن يغلب عليها التوليد والإبداع ، حيث أكبّ العلماء على معارف سابقيهم من مختلف العلوم والآداب ، وقاموا بجمعها، واختصارها ، والتعليق عليها ، وشرحها ، وهذا ما حدا بابن طولون أن يشرح ألفية ابن مالك الأندلسي .

٥- أن ابن طولون كان حنفي المذهب .

٦- أن ولادة ابن طولون كانت سنة ٨٨٠هـ ووفاته كانت سنة ٩٥٣هـ.

٧- أن ابن طولون كان ذا شخصيته علمية متميزة في شتى المجالات العلمية ، حيث تتلمذ على أكابر علماء عصره في مختلف العلوم

والمعارف ، كما أخذ منه وتتلميذ عليه الكثير من رواد العلم وطالبي المعرفة .

٨- ولد ابن طولون في صالحية دمشق ، ونشأ وترعرع في كنف والده عليّ وعمه يوسف ، فتعلم الخط في بداية حياته وحفظ القرآن الكريم بالقراءات العشر ، ثم بعد ذلك انطلق مقبلا إلى تحصيل العلم وارتشاف المعرفة من ينابيعها الأصلية ، حتى أصبح موسوعة عليمة وثقافية فريدة في المجتمع الإسلامي ، تتطلع إليه الأنظار في كل زمان ومكان فذهب يؤلف ويصنف في كل علم وفن ويدرس ويفتي في كل مدرسة وجامع .

٩- أن ابن طولون شغل الكثير من الوظائف الإدارية والعلمية ، منها : قراءة القرآن ، قراءة الحديث ، الإمامة ، الخطابة ، التصوف، التدريس ، مشيخه زاوية ، مشيخة خانقاه ، نيابة النظارة ، النظارة.

١٠- أن ابن طولون كان ذا مكانة علمية سامية ورفيعة في المجتمع الإسلامي ، وقد شهد له بذلك علماء عصره من شيوخ وتلامذة وأقران ، فوصفوه بعبارات الإطراء وعلو الشأن ورفعة المقام .

١١- أن ابن طولون ألف كمّا هائلا وعددا ضخما من المصنفات العلمية في علوم كثيرة وفنون مختلفة ، شملت النحو وأصوله والتصريف واللغة والعروض والقوافي والمعاني والبيان والبديع والمنطق والتجويد والقراءات والتفسير وعلوم القرآن والحديث وأصوله والفقه وواصوله والفرائض والكلام والإلهيات والتاريخ والحساب والهندسة والطبيعة والفلك والميقات والبنكام والطب ، إضافة إلى

الأبحاث الدينية والأدبية والاجتماعية ، وقد بلغ عدد ما استطعت حصره منها (٧٦١) مؤلفا .

١٢- أن ابن طولون كان ذا منهج علمي واضح ومتميز في شرحه لألفية ابن مالك اتسم بالسهولة والوضوح والإيجاز ، والتعرض لذكر بعض المسائل النحوية الخلافية ، وشرح لبعض المفردات اللغوية ، وإعراب بعض الأمثلة الواردة في النظم ، والتعريف ببعض القبائل والأمكنة أحيانا، والاعتناء بذكر التعريفات والحدود النحوية ،واستعمال اصطلاحات المدرسة البصرية ، وإيراد الكثير من اختيارات ابن مالك في الألفية وغيرها من مؤلفاته النحوية ، والاحتجاج بالسماع والقياس والإجماع كثيرا ، والاهتمام بالشاهد النحوي حيث استشهد بالقرآن الكريم بقراءاته المتعددة والحديث النبوي الشريف ، وبالشعر وبأمثال العرب وأقوالهم المأثورة ، كما اهتم بذكر لغات القبائل العربية ولهجاتها المختلفة ، ولم يأل جهدا في النقل عمّن سبقه من علماء المدرستين البصرية والكوفية ، وكانت شخصيته بارزة وراسخة في اختيار ما يراه مناسبا منهما فهو يصرح أحيانا باختيار مذهب البصريين وأخرى باختيار مذهب الكوفيين لدليل صحّ عنده ورجح في فكره ، فشخصيته العلمية لم تكن لتجعله متعصبا للبصريين هكذا على الدوام دون اقتناع منه أو قوة دليل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ،،،،

هوامش البحث

١ – انظر تاريخ دول الإسلام للصدفي : ٣/٨٤ ، ٩١ ، خطط الشام لمحمد كرد على : ٢/ ١٩١ ، أخبار الدول وأثار الأول للقرماني : ٢١٧ ، بدائع الزهور لابن إياس : ٣ / ٣٢٥ دائرة المعارف الإسلامية : ١٣/١٣٩ ، ١٤٧ .

٢ – انظر خطط الشام : ٢/ ١٩٢ .

٣ – أنظر خطط الشام : ٢/ ١٩٤– ١٩٥ .

٤ – انظر خطط الشام : ٢/١٩٧–١٩٩ ، تاريخ دول الاسلام : ٣/٨٥–٩١، أخبار الدول : ٢١٧ وما بعدها .

٥ – أنظر تاريخ دول الاسلام ٣/٩٠–٩٢، ١١٣ ،١١٤ ، خطط الشام : ٢ /٢١١ – ٢١٥ ، موسوعة التاريخ الإسلامي د.أحمد شلبي : ٥/٢٣٥ – ٢٣٦ ، أخبار الدول :٢٢٠ ، ٣١٥ ، تاريخ سورية د.فليب حتي : ٢/ ٢٩٨ – ٢٩٩ ، دائرة المعارف الاسلامية : ٩ / ٢٨٠ ، ١٣ /٩٤ ، ١٢ / ١٢٥ – ١٢٦ ، ١٥ / ٣٩٦ – ٣٩٧ ، المجددون في الإسلام لعبد المتعال الصعيدي : ٣٤٨ .

٦ – انظر تاريخ دول الاسلام : ٣/ ١١٤ – ١١٥ ، خطط الشام : ٢/ ٢٢١ ، أخبار الدول : ٣١٦ ، الكواكب السائرة للغزي : ١/ ١٧١ ، تاريخ سورية : ٢/ ٣١١ ، دائرة المعارف الإسلامية : ١٣ / ٩٥ .

٧ – أنظر خطط الشام : ٢ / ٢٢٧ .

٨ – أنظر تاريخ دول الإسلام : ٣ / ١٢٠ ، أخبار الدول : ٣٢٣ ، المجددون في الإسلام : ٣٤٨ ، دائرة المعارف الاسلامية : ١٢ / ١٤٦ – ١٥٥ .

٩ – أنظر تاريخ سورية : ٢/ ٢٧٦ – ٢٧٧ .

١٠ – انظر خطط الشام : ٢ / ١٩٣ .

١١ – انظر خطط الشام : ٢ / ١٩٧ ، تاريخ دول الاسلام : ٣ / ٨٥ .

١٢ – انظر خطط الشام : ٢ / ٢٠١ .

١٣ – انظر خطط الشام : ٢ / ٢٢٣ .

١٤ – الفلك المشحون لابن طولون ص ٣٠، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٥ .

١٥ – انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٣٧١ – ٣٧٢ ، البداية والنهاية : ١٣ / ٢٠١ ، شذرات الذهب : ٥ / ٢٧١ ، النجوم الزاهرة : ٧/ ٥١ ، نشأة النحو للطنطاوي : ٢٣٥ .

١٦ – انظر نشأة النحو : ٢٣٥ ، ٢٤١ .

١٧ – انظر تاريخ سورية : ٢ / ٢٨٩ .

١٨ – انظر نشأة النحو : ٢٦٩ – ٢٧١ .

١٩ – انظر نشأة النحو : ٢٧٢ .

٢٠ – انظر نشأة النحو : ٢٧٢ – ٢٧٣ .

٢١ – انظر تاريخ سورية : ٢/ ٣٢٠ ، نشأة النحو: ٣٠١ .

٢٢ – انظر ترجمته في الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون ، الكواكب السائرة للغزي : ٢/ ٥٢ – ٥٤ شذرات الذهب لابن العماد : ٨ / ٢٩٨ – ٢٩٩، الاعلام للزركلى : ٦/ ٢٩١ ، معجم المؤلفين لكحالة : ١١/ ٥١ ، المستدرك على معجم المؤلفين : ٧١٤ – ٧١٥ ، تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان (الاصل / ترجمة علي شوشان – دار الأمم للترجمة) : ٢/ ٤٨١– ٤٨٣ (الملحق / ترجمة علي شوشان – دار الأمم للترجمة) : ٢/ ٤٩٤ – ٤٩٥ .

٢٣ – وفي الكواكب السائرة (٢ / ٥٢) : محمد بن على بن محمد ، وكذلك الامر في شذرات الذهب : ٨/ ٢٩٨ ، ومعجم المؤلفين : ١١ / ٥١ ، هدية العارفين : ٢ / ٢٤٠ ، بروكلمان (الاصل) : ٢ / ٤٨١ ، (الملحق) ٢ /٢٩٤

٢٤ – انظر الفلك المشحون ص ٦ ، الاعلام : ٦/ ٢٩١ .

٢٥ – أنظر الكواكب السائرة : ٢/ ٥٢،.معجم المؤلفين : ١١/ ٥١ ، شذرات الذهب : ٨/ ٢٩٨ .

٢٦ – انظر الفلك المشحون للمؤلف : ٦ .

٢٧ – انظر الفلك المشحون : ٦ ، معجم المؤلفين : ١١/ ٥١ ، الكواكب السائرة: ٢/ ٥٢ ، شذرات الذهب : ٨ / ٢٩٨ ، الاعلام للزركلي : ٦ / ٢٩١ ، هدية العارفين : ٢ / ٢٤٠ .

٢٨ – انظر معظم المؤلفين : ١١/ ٥١ ، الكواكب السائرة : ٢ / ٥٢ ، شذرات الذهب : ٨ / ٢٩٨ .

٢٩ – الفلك المشحون : ٦ ، الكواكب السائرة : ٢ / ٥٢ ، شذرات الذهب : ٨/ ٢٩٨ ، الاعلام : ٦/ ٢٩١ ، هدية العارفين : ٢ / ٢٤٠ .

٣٠ – معجم البلدان : ٣ / ٣٩٠ ، مراصد الاطلاع : ٢/ ٨٣٠.

٣١ – القلائد الجوهرية لمحمد بن طولون الصالحي : ١ / ٦٤ .

٣٢ – القلائد الجوهرية : ١ / ٦٦ .

٣٣ – انظر الكواكب السائرة : ٢/ ٥٢ ، شذرات الذهب : ٨ / ٢٩٨ ، الاعلام : ٦ / ٢٩١ ، هدية العرفين : ٢ / ٢٤٠ ، معجم المؤلفين : ١١ / ٥١ ، بروكلمان (الاصل) : ٢/ ٤٨١ ، (الملحق) : ٢ / ٤٩٤ .

٣٤ – الفلك المشحون : ٦ .

٣٥ – انظر شرح الألفية لابن طولون الدمشقي : ٢٣/١ .

٣٦ – انظر الفلك المشحون ص٦ ، القلائد الجوهرية : ١/ ٣٥٢ .

٣٧ – انظر الفلك المشحون ص٦ ، مدرسة الشيخ ابي عمر معروفة بالمدرسة الشيخية العمرية بالصالحية يقع في وسطها نهر يزيد ، قبلي الجامع المظفري ، وشرقي دير الحنابلة ، كما قال بن طولون ، وقيل : وسط دير الحنابلة وهي الأن خراب أكل النظار أوقافها واستباحوا أخذ خزائن كتبها المهمة ، باتيها وواقفها الشيخ أبو عمر الكبير الحنبلي الزاهد المعروف بابن قدامه – المتوفي سنة ٦٠٧

هـ سنة ٥٥٠هـ انظر القلائد الجوهرية : ١/٢٤٨ – ٢٤٩ خطط الشام : ٦/٩٧ ، مدارس دمشق : ١٠٠ .

٣٨ – انظر شذرات الذهب : ٨/ ٢٩٨ معجم المؤلفين : ١١/٥١ والمدرسة الحاجبية : هي جامع الحاجبية ولكنه مشهور بذلك ، تقع وسط الصالحية قبلي المدرسة العمرية ، على مقربة من مرقد الشيخ عبدالغني النابلسي ، أنشأها الامير ناصر الدين محمد بن الأمير مبارك سنة ٨٦٥ هـ ، وهي من أحاسن الصالحية ، بل من أحاسن دمشق كما ذكر ابن طولون . انظر القلائد الجوهرية:١/٩٩ ،١٠٠ ، خطط الشام : ٦ / ٨٩ .

٣٩ – انظر الفلك المشحون ص٦ ، الكواكب السائرة : ٢ /٥٢، شذرات الذهب : ٨ /٢٩٨ ، معجم المؤلفين : ١١/ ٥١ .

٤٠ – انظر الفلك المشحون ص٦ ، وقاسيون : هو الجبل المشرف على دمشق ، وفيه عدة مغاير ، وفيه آثار الأنبياء ، وكهوف ، وفي سفحه مقبرة أهل الصلاح ، وهو جبل مقدس يروي فيه أثار ، وللصالحين فيه أخبار ، وفيه مغارة تعرف بمغارة الدم ، يقال بها قتل قابيل اخاه هابيل ، وفيه مغارة الجوع ، يزعمون أنه مات فيها أربعون نبيا ، وهو الآن محلة كبيرة ممتدة في في سفحه ، وبها ترب ، وربط ، ومدارس ، وجامعان يصلى فيهما الجمعة ، ومارستان ، وسوق كبير ، وأول من سكن به المقادسة الذين هاجروا من بلاد القدس حين كان ملوكهم من الفرنجة قبل فتح صلاح الدين لها ، فجاؤوا ، وسكنوا به ، وسكن معهم بعد ذلك ناس كثير ، انظر معجم البلدان : ٢٥٣ ، القلائد الجوهرية م: ١/ ٨٧ .

٤١ – انظر الأعلام : ٦ / ٢٩١ ، هديّة العارفين : ٢/٢٤٠ .

٤٢ – انظر الفلك المشحون ص٦ ، والكواكب السائرة : ٢/٥٢ ، شذات الذهب: ٨/ ٢٩٨ ، معجم المؤلفين :١١ /٥١ ، تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان (الاصل) : ٢/ ٤٨١ .

٤٣ – انظر الفلك المشحون ص٦ ، والكواكب السائرة : ٢/٥٢ .

٤٤– انظر الفلك المشحون ص٦ ، وانظر المراجع المتقدمة في ترجمته .

٤٥ – انظر الكواكب السائرة : ٢ /٥٤ ، شذات الذهب : ٨ / ٢٩٩ .

٤٦ – انظر بروكلمان (الاصل) ٢: ٢ / ٤٨١ الملحق : ٢ / ٤٩٤ .

٤٧ – انظر الكواكب السائرة : ٢ / ٥٤ ، شذرات الذهب : ٨/ ٢٩٩ ، معجم المؤلفين : ١١ / ٥١ .

٤٨ – انظر الكواكب السائرة : ٢ /٥٤ .

٤٩ – انظر الكواكب السائرة : ٢ /٥٤ ، ٢شذرات الذهب : ٨ / ٢٩٩ ، معجم المؤلفين : ٥١/١١ ، وفي بروكلمان الأصل : ٤٨١/٢ (الملحق): ٤٩٤/٢ ، أن وفاته كانت في جمادي الثانية .

٥٠ – انظر معجم المؤلفين :٥١/١١ ، الكواكب السائرة ٥٤/٢ شذرات الذهب : ٢٩٩/٨ .

٥١ – انظر الكواكب السائرة : ٢ /٥٤ ، ٢شذرات الذهب : ٨ / ٢٩٩ .

٥٢ – الكهف : ويقال له كهف جبريل ، يقع غربي مغارة الدم ، وذكر ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة : أن محمد بن عبدا لله بن أحمد أبو الفرج الدمشقي المعروف بابن المعلم المتوفي سنة ٤١١ هـ هو الذي بنى هذا الكهف بقاسيون ، وقال : وفيه المغارة التي يقال : إن الملائكة عزّت آدم عليه السلام فيها لما قتل قابيل أخاه هابيل ، وقال : وكان محمد هذا شيخا صالحا زاهدا عابدا مات في شهر رجب ودفن بمقبرة الكهف .

وهذا الكهف عبارة عن مغارة مستطيلة طولها نحو ستة أمتار وعرضها نحو متر ونصف وخارجها مصنعان للماء ، وعدة غرف متهدمة ، وقبر لشخص مجهول قد يكون قبر ابن المعلم الذي أنشأ هذا المكان ، وليس فيها شيء يسترعي النظر

غير موقعها الجميل المطل على دمشق والغوطة . انظر النجوم الزاهرة : ٤ / ٢٤٦ ، هامش القلائد الجوهرية : ١٠٣/١ .

٥٣ – انظر الكواكب السائرة :٢ / ٥٤ ، شذرات الذهب : ٨ / ٢٩٩ ، معجم المؤلفين : ١١/ ٥١ .

والخوارزمية : تربة تحت كهف جبريل ، وبها مدفون محمد بن محمد العلامة قطب الدين الرازي ، المعروف بالقطب التحتاني ، أحد أئمة المعقول المتوفي سنة ٧٦٦هـ . انظر القلائد الجوهرية : ٣٤١/١ .

٥٤ – انظر الكواكب السائرة :٢ / ٥٤ ، شذرات الذهب : ٨ / ٢٩٩ .

٥٥ – انظر الكواكب السائرة :٢ / ٥٤ ، وفي الأعلام (٦/ ٢٩١) قال الزركلي: ولم يتزوج ولم يعقب .

٥٦ – انظر المراجع المتقدمة في ترجمته .

٥٧ – انظر الفلك المشحون :٧– ١٨ ، الكواكب السائرة ٢/ ٥٢ ، شذرات الذهب ٨ / ٢٩٨ .

٥٨ – وفي شذرات الذهب : الشهاب العيثاوي .

٥٩ – انظر الكواكب السائرة : ٢/ ٥٣ ، شذرات الذهب : ٢٩٨/٨ –٢٩٩ .

٦٠ – انظر الفلك المشحون ص٧ .

٦١ – انظر الفلك المشحون ص٧ ،٥٣ وقد أورد ابن طولون فيه بعد هذين البيتين ثمانية وثلاثين بيتاً .

٦٢ – انظر الفلك المشحون ص٧ .

٦٣ – مسجد الكوافي كائن بحكر الحجاج الشهير الآن بحكر بني القلانسي ، بالسهم من الصالحية ، وهذا المسجد قديماً يعرف بمسجد بني هلال ، وحديثاً بمسجد العساكرة ، انظر القلائد الجوهرية : ١/ ٣٥٢ .

٦٤ – علم البنكامات : هو علم يعرف به كيفية اتخاذ آلات يقدر بها الزمان ، وموضعه حركات مخصوصة في أجسام مخصوصة ، تنقضي بقطع مسافات مخصوصة ، وغايتة معرفة أوقات الصلوات وغيرها من غير ملاحظة حركات الكواكب ، وكذلك معرفة الأوقات المفروضة للقيام في الليل : إما للتهجد ، أو للنظر في تدابير الدول وغير ذلك ، ومع ذلك فهو يحتاج إلى إدراك كثير ، وقوة ومهارة، وتنقسم البنكامات إلى الرملية ، وإلى بنكامات الماء ، وإلى بنكامات معروفة بالدواليب ، يدير بعضها بعضاً . انظر كشف الظنون : ١/ ٢٥٥ .

٦٥– انظر فيما تقدم الفلك المشحون ص٧– ١٨ .

٦٦ – انظر ذلك في الفلك المشحون ص ٢٠– ٢٥ .

٦٧ – في الفلك المشحون : بالشعراء ، والصحيح ما أثبته ، انظر ديوان الإمام الشافعي : ٣٩ .

٦٨ – أنظر الفلك المشحون ص ٥٢ .

٦٩ – انظر الكواكب السائرة : ٢/ ٥٣–٥٤ ، شذرات الذهب : ٨/ ٢٩٩ .

٧٠ – انظر الكواكب السائرة : ٢/٥٤ ، شذرات الذهب ٨/ ٢٩٩ .

٧١ – وهي في أربعة كراريس ، انظر الفلك المشحون ص ٩– ١٠ .

٧٢ – انظر الفلك المشحون ص ٥١ .

٧٣ – انظر الفلك المشحون ص ٧– ١٠ ، ١٨–٢٠ ، ٤٩ – ٥٢ .

٧٤ – انظر بروكلمان (الملحق) : ٢/ ٤٩٤ .

٧٥– شرح الألفية لابن طولون الدمشقي : ١/١٧ .

٧٦– شرح الألفية لابن طولون الدمشقي : ١/١٧ .

ثبت المصادر والمراجع

١- الأعلام ، تأليف : خير الدين الزركلي . طبع : دار العلم للملايين ، الطبعة السادسة ١٩٨٤ م - بيروت .

٢- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، تأليف : أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني . عالم الكتب بيروت ، توزيع : مكتبة المتنبي بالقاهرة .

٣- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تأليف : محمد بن أحمد بن إياس الحنفي . تحقيق : محمد مصطفى . الناشر : فرانز شتاينر فيسبادن . الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣ م ، القاهرة .

٤- البداية والنهاية ، تأليف : الحافظ ابن كثير الدمشقي . الطبعة الثانية ١٩٧٧ م . الناشر : مكتبة المعارف - بيروت .

٥- تاريخ الأدب العربي ، تأليف : كارل بروكلمان ، الأصل (ترجمة : علي شوشان ، دار الأمم للترجمة - القاهرة) ، طبع في ليدن سنة ١٩٤٩ م .

٦- تاريخ الأدب العربي ، تأليف : كارل بروكلمان ، الملحق (ترجمة : علي شوشان ، دار الأمم للترجمة - القاهرة) ، طبع في ليدن سنة ١٩٣٨ م .

٧- تاريخ دول الإسلام ، تأليف : رزق الله منقريوس الصدفي . مطبعة الهلال سنة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٣ م- القاهرة .

٨- تاريخ الخلفاء ، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي . تحقيق : محيي الدين عبد الحميد . الطبعة الأولى سنة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢ م، مطبعة السعادة بمصر .

٩- تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، تأليف د. فيليب حتي . ترجمة : د.كمال اليازجي . أشرف على مراجعته وتحريره : د.جبرائيل جبور . الطبعة الثانية ١٩٧٢ م ، دار الثقافة – بيروت .

١٠- خطط الشام ، تأليف : محمد كرد علي . دار العلم للملايين – بيروت.

١١- دائرة المعارف الإسلامية ، يصدرها باللغة العربية : أحمد الشنتناوي ، وإبراهيم زكي خورشيد ، وعبد الحميد يونس . دار الفكر – بيروت.

١٢- ديوان الإمام الشافعي . تأليف : أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي. جمعه وعلق عليه : محمد عفيف الزعبي . طبع : مؤسسة الزعبي للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة – بيروت . الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ ١٩٧٤ م .

١٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تأليف : أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي . طبع : المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت .

١٤- شرح ألفية ابن مالك لابن طولون الدمشقي . تحقيق : د. عبد الحميد جاسم الكبيسي .نشر : دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م ، بيروت .

١٥- الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون ، تأليف : حافظ الشام ومؤرخه في القرن العاشر ، شمس الدين محمد بن علي بن طولون الصالحي . عنيت بنشره : مكتبة القدسي . طبع : مطبعة الترقي بدمشق ، سنة ١٣٤٨ م .

١٦- كشف الظنون عن أساس الكتب والفنون . تأليف : مصطفى بن عبد الله القسطنطني الرومي الحنفي ، الشهير بالملا كاتب الجلبي ، والمعروف بحاجي خليفة . طبع : دار الفكر – بيروت .

١٧- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، تأليف : الشيخ نجم الدين الغزي . تحقيق : جبرائيل سليمان جبور . نشر : محمد أمين دمج وشركاه ، بيروت .

١٨- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، تأليف : محمد بن طولون الصالحي . تحقيق : محمد أحمد دهمان .

١٩- المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر ، تأليف: عبد المتعال الصعيدي . طبع : دار الحمامي للطباعة ، ملتزم النشر : مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز – القاهرة .

٢٠- مدارس دمشق في العصر الأيوبي . تأليف : د.حسن شميساني . الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م ، منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت .

٢١- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع . تأليف : صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي . تحقيق : علي محمد البجاوي . طبع: دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الأولى ١٩٧٣هـ – ١٩٥٤ م ، القاهرة .

٢٢- المستدرك على معجم المؤلفين ، تأليف : عمر رضا كحالة . طبع : مطبعة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥ م ، بيروت .

٢٣- معجم البلدان ، تأليف : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي . طبع : دار صادر للطباعة والنشر – دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت.

٢٤- معجم المؤلفين ، تأليف : عمر رضا كحالة . طبع : دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت .

٢٥- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، تأليف : د.أحمد شلبي . ملتزم الطباعة والنشر : مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – الطبعة السادسة ١٩٨٣ م .

٢٦- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تأليف : جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي . نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة . طبع : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

٢٧- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة : تأليف : محمد الطنطاوي . تعليق : عبد العظيم الشناوي ومحمد عبد الرحمن الكردي . الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩ م .

٢٨- هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين) ، تأليف : إسماعيل باشا البغدادي . طبع في استانبول سنة ١٩٨١ م ، وأعادت طبعة بالأوفست دار العلوم الحديثة ، بيروت .